المحاضرة السابعة: الاتجاه الإيديولوجي في الرواية العربية

الدكتورة زهرة خالص

1-الإيديولوجيا في الفكر العربي:

من بين المفكرين العرب الذين تناولوا هذا المصطلح بالدراسة هو "عبد الله العروي" وذلك في كتابه "مفهوم الإيديولوجيا"، كمحاولة منه لتعيين بعض الاستعمالات الوظيفية والمصطلحية لهذه اللفظة، ونجده يقترح كلمة "أدلوجة" للتعبير عن مدلول الإيديولوجية، فهي على حد قوله: مجموع القيم والأخلاق والتي يسعى حزب ما لتحقيقها اعتبارًا منه أنّ الجزء الذي لا يتبنى الأدلوجة يعد حزب انتهازي. ويقال عن فلان أنّه يأخذ بالأشياء وفق نظرة إيديولوجية، فهذا معناه أنّه ينتقي الأفكار، ثم يقوم بعملية التأويل التي هدفها إظهار أنّ اعتقاداته على صواب مما يدفعنا إلى استنتاج خلاصة هي أنّ مفهوم الأدلوجة يقابله مفهوم الحق[1].

يقسم "عبد الله العروي" الإيديولوجيا إلى ثلاثة أنماط هي كالتالي:

أ-الإيديولوجيا قناع/ نمط سياسي:

توظف في المجال السياسي، قناع ذات تفكير وهمي للوصول إلى مصالح مرغوب فيها، فهي تتصل بالنضال السياسي وخاصة الحزبي، لكسب أكبر عدد من الأنصار. وعموما هي تسعى لتمويه مصالحها، كما لها هدف رئيسي هو الكشف عن الحقائق لمن يتبناها وفي مقابل هذا تخفي نواياها الحقيقية عن خصومها.

ب-الإيديولوجيا رؤية كونية/ نمط اجتماعي:

[1]- ينظر: عبد الله العروي، مفهوم الإيديولوجيا، 2014، ص9-10.

تتمثل في ذلك النمط الإيديولوجي الذي يحمل رؤية حقيقة للواقع لأنّها حاملة لأفق ونظرة موضوعية للواقع، فهي عكس السياسية المتشبعة بالنظرة الذاتية الضيقة، إذ يقول "عبد الله العروي" بأنّها: «قناع لمصالح فئوية إذا نظرنا إليها في إطار مجتمعي آني وهي نظرة إلى العالم والكون، إذا نظرنا إليها في إطار التسلسل التاريخي»[1]، فكلما تخلصت الإيديولوجيا من التعصب لنفسها وحملت جملة الانتقادات لذاتها وليس انتقاد غيرها، فهنا ترقى إلى مستوى الرؤية للعالم يتجاوزها الإطار السياسي.

ج–الإيديولوجيا معرفة/علم الظواهر:

هي نظام فكري واعي يسعى إلى «معرفة الظاهرات الآنية والجزئية في مجال نظرية المعرفة ونظرية الكائن، ويقود هذا الاستعمال حتما إلى النظرية الجدلية»[2]؛ أي هي نمط فكري ومعرفي يهتم بالبحث في ماهية كل من الكون والكائن، فهدفها تخليص الفكر من الأوهام والأحاسيس الذاتية.

يتّضح مما سبق أنّ "الإيديولوجيا" تعد لفظة إشكالية، وهذا ما جعلها تحوي عدّة مفاهيم ودلالات، فهي «تشكيل هندسي متعدد الوجوه، وكل وجه يصلح أن يكون بابا للدخول إلى هذا الشيء الساحر الذي يدعى المصطلح»[3]، حيث تعد قناع وتشكل وعي وهمي لذا فهي مجموعة من القيم والأفكار تتبناها طائفة ما تؤمن بها وتسعى للدفاع عنها، فتؤثر في فكرها متناسية المنطق تمامًا، وقد نلمحها في معنى آخر وذلك حينما تتصل بالرؤية الكونية التي تجعلها أقرب إلى الفلسفة من منطلق أنّها تتخذ من الأحكام المطلقة الشاملة سبيلا لمعالجة ثلاثة أنماط هي: الفرد، والكون، والمجتمع، لكون أنّ مفهوم الإيديولوجيا يتضمن فلسفة لاتصاله بالفكر، كما تعد أيضا معرفية إذا كان نظام أفكارها موضوعي هادف إلى التحليل العلمي للكون والكائن.

---

[1]– حميد لحمداني، النقد الروائي والإيديولوجيا، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1990م، ص18.

[2]– عبد الله العروي، "مفهوم الإيديولوجيا"، ص14.

[3]– محمد رضا خاكي قرامكي، الإيديولوجيا، ص22.

لقد تطور مفهوم الإيديولوجيا في العالم العربي، وهذا التطور زاوله بالضرورة تطور المجتمعات العربية، إذْ أصبح مفهومًا يتماشى مع ما هو راهن نظرًا لما عاشه الكائن العربي من ثورات وحروب سياسية، اجتماعية، اقتصادية...إلخ، جعلت منه يبحث عن الحرية.

نجد في الفكر العربي باحث آخر خاض في هذا المجال وهو "نديم البيطار" وذلك في كتابه "الأيديولوجية الانقلابية"، حيث يعرف الإيديولوجية على أنها «أية فلسفة حياة تفسر علاقة الإنسان بالمجتمع والتاريخ تفسيرًا عامًا شاملاً يكشف عن منطق التاريخ وحركته»[1]، فهو لا يهتم بالمنهج لأنّ هدفه هو الإقناع ولا يحفل على المعقول لكون اهتمامه هو العمل، ولهذا تتساوى لديه ولدى قارئه الإيديولوجية والعقيدة، لأنّه لا يوظف مفهوم "الأدلوجة" بكيفية نقدية، إذ يرى أنّ النوع المطلوب تزامنا مع الظروف العربية الراهنة هي أدلوجة الرفض.

إنّ المشكلة الأساسية في الوطن العربي هي مشكلة إيديولوجية وكل الإشكالات الأخرى تتفرع منها مثل الأصالة، المعاصرة، الدين، الدولة، الثورة، الاستقلال، العروبة... وغيرها فكلها تعد انعكاسا وتجسيدا للانعدام الإيديولوجي والثقافي، وباعتبار أنّ معالجة معظم الأوضاع يكون عمومًا بالمعرفة، فإنّ أزمة الوطن العربي هي أزمة معرفية إيديولوجية لأنّ العقل هو السبب الوحيد في تبلورها، والمفكرون العرب على علم تام بهذا الوضع، لكنهم رغم ذلك يجعلون الإيديولوجيا تحتل الجزء الكبير من الزمان والمكان وتستغرق العقل والوجدان، وقد كان معظم الذين تبنوا هذا المصطلح وروجوا له ذو نزعات تكون إما ماركسية أو قومية أو ليبرالية...إلخ[2].

إذا كانت التعاريف السابقة يشوبها الغموض ويتخللها التعقيد، كان الأفضل النظر إلى المفهوم المختصر والواضح وهو على النحو الآتي: «الإيديولوجيا هي شكل من أشكال الفلسفة السياسية أو الاجتماعية، تظهر فيه العناصر التطبيقية بالأهمية نفسها التي تظهر فيه العناصر النظرية؛ فهي إذن

---

[1]- محمد رضا خاكي قرامكي، الإيديولوجيا، ص152.

[2]- ينظر: تركي الحمد، دراسات إيديولوجية في الحالة العربية، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، بيروت، لبنان، 1992م، ص81.

منظومة فكرية تدعو إلى تفسير الدنيا وإلى تغييرها في آن واحد»[1]، ويعد هذا المفهوم هو الأنسب والأدق لكونه قال محتوى هذا المصطلح بعبارات شاملة وبدون أي لف ودوران، وهذا طبعا لا ينفي صحة ومصداقية المفاهيم المقدمة سابقا كما لا يقلل من أهميتها.

مما تقدم يتضح أنّ الإيديولوجيا تحمل في غالبها أربعة معاني: المعنى الأول هي أنها تنبثق من الماضي وتحن إليه، وفي المعنى الثاني تصور الحاضر والأمر الواقع، وفي المعنى الثالث تفصح عن المستقبل، أما في المعنى الرابع فنجدها تربط بين الماضي والحاضر والمستقبل، حيث يتحول الماضي إلى مستقبل معلوم بعد أن كان مجهول. وبهذه المفاهيم تكون "الإيديولوجية" مجرد أفكار قوية تتسلط على الأذهان لفترة قد تطول أو تقتصر، فهي عبارة عن أفكار يؤمن بها شخص ما، تؤثر على رؤيته لما حوله سواءً كان العالم الاجتماعي أو الإنساني، فقد يكون الاتجاه الإيديولوجي المتبنى مستمد من النظرية السابقة ولكنه يؤثر على الرؤية المستقبلية للفرد.

2-الإيديولوجيا والنص الروائي:

لقد عرفت علاقة الرواية بالإيديولوجيا جدلاً كبيرا تعود إرهاصاته الأولى إلى نشأة النص الروائي وعلاقته بالواقع الاجتماعي وكذا التاريخي، بوصفه خطاب أدبي وبنية فنية جمالية تتضمن صورة الفرد والمجتمع ورؤية الأديب إلى العالم وموقفه من التاريخ. وما دام هناك وجود لعلاقة بين الأدب والإيديولوجيا فلا من شك لتمحور علاقة أخرى تربط الرواية بالإيديولوجيا، لكونها أكثر الأجناس الأدبية انفتاحًا ورصدًا للواقع، فهي النوع الأدبي المناسب لتصوير المجتمعات وعكس أفكار أفرادها وتجسيد الصراعات والإيديولوجيات والتناقضات المذهبية السائدة.

وبهذا يدور صلب الحديث في هذا المطلب حول علاقة النص الروائي بالإيديولوجيا وذلك وفق مجالين: الأول الإيديولوجيا في الرواية والثاني الرواية كإيديولوجيا، ومن هنا يتبلور السؤال القائل عما إذا كانت الرواية هي جزء من الإيديولوجيا؟ أم أنها إيديولوجيا في حد ذاتها؟

[1]- حسين علي، العلم والإيديولوجيا،2016، ص106.

للإجابة على الإشكال المطروح، نقول بأنّ الرواية تقوم في هذه الحالة بمهمة مزدوجة، بمعنى أنها توظف الإيديولوجيات من ناحية وتقتحم عالم الصراع الإيديولوجي من ناحية أخرى.

لقد تمكنت الرواية منذ نشأتها الأولى من تصوير التناقضات الاجتماعية والواقعية والإفصاح عن خبايا الأزمات الكبرى إثر تطور حركات المجتمع، وقد كشف النقاد ومنهم الماركسيون عن جدلية العلاقة بين الرواية والواقع في عكس الإيديولوجيات السائدة، كما دعا "جورج لوك" إلى ضرورة التفريق بين إيديولوجية الكاتب بوصفه إنسانا، وإيديولوجية كتاباته التي لا تخضع إلا لمنطق الكتابة ونسج الدلالات والمضامين، فالنّص الروائي سواء اختلفت إيديولوجيته أم لم تختلف فإنّه يبقى نصًا يغترف من الواقع وينطلق من منطلقات إستراتيجية تمتن قاعدته، فلا يمكن لنص أن يعلو على آخر إلا قياسا بقدرة كاتبه على حسن انتقاء التقنيات الجمالية والبلاغية الخاصة والتي تجعله يتميز عن ما يطلق عليه بالخطاب الإيديولوجي المباشر الذي نخاطب به السياسة في أغلب الأحيان[1].

إنّ الأنساق الإيديولوجية حسب ورودها في الأعمال الروائية تتناقض فيما بينها، بوصفها قيم فكرية اجتماعية تعبر عن وقائع ضمن أطر نصية مفصحة بذلك عن علاقات تضادية تناقضية مع التوجهات الموظفة في سياقها، فالإيديولوجيا «حين تدخل النص لا تتمتع بالقوة نفسها التي لها في الواقع، فهي محاصرة بوجود بعضها إلى جانب بعض. لأنّ الكاتب لا يُضَمنُ وجوده بالضرورة إيديولوجيته الخاصة ضمن إحدى الإيديولوجيات المعروضة في النص فقد تبقى إيديولوجيته خفية»[2]، حيث أنها تتحرك في سريّة تامة بين الإيديولوجيات المطروحة في النص، بمعنى أنّه هناك إمكانية لوجود مجموعة من الأنساق الإيديولوجية في نسق واحد، كما أنّ إيديولوجية الخطاب الروائي لا تتجسد من خلال كل من الوضع السياسي أو الاجتماعي فحسب، فإنّما بإمكانها التبلور في قضايا ومواقف أخرى وقد يغلب الطابع السلبي على تلك المواقف والأحداث وحتى على الشخصيات، لأنّه تتحدد

[1]- ينظر: علال سنقوقة، المتخيل والسلطة، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2000، ص151.

[2]- حميد الحمداني، النقد الروائي والإيديولوجيا، ص26-27.

طبيعة الإيديولوجيا بالدلالة العامة للخطاب الروائي ولوظيفته الموضوعية المؤثرة والطاغية[1]، ضفْ إلى ذلك أنّ إيديولوجية الكاتب في كثير من الأحيان لا من ضرورة لعرضها، فقد نجدها مبطنة في المتن أو مشار إليها لكن بطريقة غير مباشرة، فليس كل من هبَّ ودبَّ يستخلصها، لكن هذا يضعها في أمر الواقع وذلك ببروز صراعات بينها وبين الإيديولوجيات الأخرى والتي وردت علانية.

عندما تتوصل الرواية إلى اختراق سماء الإيديولوجية إلى سماء الأدب الواسعة، تكون قد حققت قولها الإيديولوجي بخطاب أدبي، بمعنى أنّ الأقوال والغايات الكلامية السياسية تصاغ في قوالب أدبية، وكلما سجن الروائي رؤيته برؤية السياسي وحبست الرواية ذاتها تحت مظلة السياسية، نتج عن ذلك فقدان الرواية لدورها السياسي وكذا الأدبي، بحيث تصبح غير قادرة على تنفيذ مهامها المكلفة به في كلا المجالين، ومنه نقول بأنّ الوعي الإيديولوجي يختلف عن الوعي الأدبي، والروائي وإن كان الأول جزء من الثاني، وكثيرة هي النصوص الروائية والأدبية التي تختفي وراء ستار الشعار الإيديولوجي المباشر لإخفاء نقصها الجمالي وعجز كاتبها.[2]

إنّ هذه العلاقة القائمة بين هذين الطرفين تفصح عن حقيقة وهي أنّ الطرف الأول الذي هو الإيديولوجيا، يعد مكونا أساسيا من مكونات الطرف الثاني الذي هو النص الروائي، وهذا لكون الأول يخترق الثاني فيغدو مادته الخام، ومنه نقول أنه لا وجود لنص ولا عمل أدبي في معزل عن الإيديولوجيا سواء ظاهرة أو مضمرة.

3–الإيديولوجيا في الرواية:

يكاد لا يخلوا نص روائي من إيديولوجيا ما تقوم بمهام وهو ترصّد الصراع القائم في المجتمع، مهما كان فكري أو سياسي أو اجتماعي، حيث أنّ عناصر المتن الروائي من زمان ومكان وحبكة

---

[1]– ينظر: محمود أمين العالم وآخرون، الرواية العربية بين الواقع والإيديولوجيا، دار الحوار، ط1، سوريا، 1986م، ص20.

[2]– ينظر: أمين الزاوي، صورة المثقف في الرواية المغاربية –الفهوم والممارسة–، دار راجعي للنشر والطباعة، الجزائر، 2009م، ص559.

وشخصيات وحوار وسرد...إلخ، فكلها حاملة للإيديولوجيا، حيث أنّ «الخطاب الروائي والتعبير الأدبي عامة، بل التعبير الإنساني عامة، هو إيديولوجي بالضرورة»[1]، لأنّ الرواية لابد لها أن تقوم على رؤية إيديولوجية «فليس غريبا أن يلتزم الكاتب بإيديولوجيا معينة لأن ذلك جزء من عملية تحقيق الذات»[2]، وهذه الرؤية نلمحها من خلال العناصر التي يوظفها في نصه.

تدخل الإيديولوجيات إلى الرواية كعناصر تضفي جمالا على النص، فهي غير قائمة على التصنيف ولا هي محكم فيها ولا محكوم عليها وفي هذا تقول السميائية والناقدة الفرنسية "جوليا كريستيفا" «إنّ النص المتعدد الأصوات ليس له إيديولوجية واحدة، هي الإيديولوجية المشكلة الحاملة للشكل»[3]؛ إذ تصبح بمثابة العناصر الغنية للمادة الروائية وأدوات يوظفها الكاتب في صياغة النص الذي هو على استيعاب كبير لمختلف الإيديولوجيات المثمرة في النصوص أو الموجودة في الواقع، ونجد "كريستيفا" «تلجأ إلى استعمال مصطلح الإيديولوجيا ونعني بهالوظيفة التناصية التي يمكننا قراءتها وهي تتمظهر ماديا على مختلف مستويات بنية كل نص والتي تمتد خلال صيرورتها مانحة إياه كل مطبقاتها التاريخية والاجتماعية»[4]، فإنّه بتعدد الإيديولوجيات وبتصادمها يتشكل محتوى النص الروائي، لكونها تلك المواقف والرؤى والأفكار التي تزخر بها الرواية، كما أنّها هي تلك الطريقة الخاصة التي وظفت بها، وما ينتج عنها من اختلاف في المواقف، فيؤدي حتما إلى الصدام والصراع في نهاية الحلقة.

تعد الإيديولوجية بمثابة محتوى للنص الروائي، تكشف في غالبها عن الموقف السلبي الذي يحاول من خلاله الروائي إقناع الجمهور عبر الشخصيات التي يوظفها، فهم عبارة عن رسومات يحركها وفق مذهبه وانتماءه الفكري، لأنّه تطلق الإيديولوجيا بمعنيين: الأول يكون مذموم ويعد عبارة عن

---

[1]- محمود أمين العالم وآخرون، الرواية العربية بين الواقع والإيديولوجيا، ص16.

[2]- علال سنقوقة، المتخيل والسلطة، ص86.

[3]- حميد الحمداني، النقد الروائي والإيديولوجيا، ص32.

[4]- سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي، المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء،المغرب، 2001م، ص20.

آراء الخصم الظاهرية التي تتستر على الحقيقة الجوهرية والتي تدين الخصم إذا ما تم الكشف عنها، وأما المعنى الثاني فهو مقبول خاص بعصر أو طبقة ما يتلخص في خصائص ذهنية تركيبية[1]، وهذا ما جعل من الرواية وعاء حامل للإيديولوجيا، حيث يتم التصنيف الإيديولوجي للرواية انطلاقا من متنها «أي من مجموعة البيانات الإيديولوجية التي تشكلها وليس من الخارج المادي وإن بدا هذا التناظر بديهيا بين الداخل والخارج»[2]، وهذا كله يعني أنّ الروائي قد يتدخل في نصه وذلك من خلال شخوصه ومواقفهم إلى درجة إلباسهم ملابس إيديولوجية ثقيلة الوزن، وقد تظهر ذات مقاسات كبيرة مقارنة بأجسادهم كما أنها لا تناسب نمط هذه الشخصيات العادية، فالهدف هنا هو تجسيد موقفه ورؤيته عبر الشخوص التي قام عليها عمله الروائي.

يتضح لنا أنّ الإيديولوجيا في الرواية يكون لها وجود حين يسعى الكاتب الروائي من خلال نصه إلى تجسيد وإظهار الأفكار والمعتقدات التي يتبناها، وذلك عبر العناصر التي يوظفها في نصه، لكن هذا لا يتم بطريقة مباشرة بل تكون هذه الرؤى مطوية بين ثنايا المضمون، أي أنّ «إيديولوجية الخطاب الروائي إيديولوجية محايثة باطنية نابعة من بنيته الداخلية من ناحية وهي كذلك إيديولوجية وظيفية تتحقق بمدى ودلالة تأثيره الموضوعي الخارجي من ناحية أخرى»[3]، لأنّ الإيديولوجيا المباشرة حين تعبر باب الأدب أو الفن بشتى أنواعه بما فيه الرواية يهرب الإبداع من نافذته، لكن هذا لن يجعل من عمل أدبي ما عملا فارغا لا يشتمل على محتوى ولا يحمل في طياته رسالة أو مشكلة، بل هو يحمل همًا من هموم الأفراد والإنسانية أجمعين، حيث يستلهم وينهب الفن والجمال ويوظفهما لخدمة الأحداث والشخصيات وبقية العناصر الأخرى.

---

[1]- ينظر: حسين علي، العلم والإيديولوجيا، ص104.

[2]- علال سنقوقة، المتخيل والسلطة، ص89.

[3]- محمود أمين العالم وآخرون، "الرواية العربية بين الواقع والأيديولوجيا"، ص16.

إذن يظهر من تفاعل الإيديولوجيات في الرواية موقف الكاتب الإيديولوجي مهما كان توجهه سياسيا أو ثقافيا أو معرفيا وكذا رؤيته للعالم، فهذا ما يجعل من النص الروائي ذات الطابع الإيديولوجي يندرج ضمن حقل من الحقول المعرفية والثقافية الشاملة.

6-الرواية كإيديولوجيا:

في هذا العنصر لن نتحدث عن الإيديولوجيا في الرواية وإنّما عن الرواية كإيديولوجيا، لأنّه عندما ينتهي الصراع بين الإيديولوجيا في الرواية تبدأ معالم إيديولوجيا الرواية في الظهور، إذ تظهر شمسها في الأفق، لأنّه بمجرد زوال الصراعات تبرز معالم الأعمال الروائية بكل وضوح.

لقد قلنا فيما مضى أنّ ما يجسده الروائي في نصه عبر شخوصه فيما يتعلق بالاختلاف في آرائهم وتوجهاتهم، فهذا يشكل إيديولوجيا في الرواية، ففي مقابل هذا الرأي نجد أنّ انتهاء هذا الصراع والتناقض بينهم هو من يجعل الرواية تغدو كإيديولوجيا في حد ذاتها، ومنه نقول أنّ الرواية كإيديولوجيا تعني بكل بساطة موقف الكاتب وليس موقف الأبطال كل منهم على حدة، وفي خلاف ذلك نجد "مخائيل باختين" يحصر الإيديولوجيا داخل الرواية معتمدا على فكرة أنّ الأديب حيادي، ويعلل موقفه بتعدد وباشتمال الرواية على أساليب عديدة وشخوص كثيرة لأنّ الرواية في الواقع تتعدد أساليبها، فكل شخصية وكل هيئة تمثل فيها، لها صوتها الخاص وموقفها الخاص ولغتها الخاصة وأخيرًا إيديولوجيتها الخاصة وهكذا فلا حاجة تدعوا إلى مقابلة الرواية بالواقع لأنّه حاضر فيها[1].

لتبيان إيديولوجية الرواية ورسم معالمها وجب الغوص في ثنايا الصراع وتحديد طبيعته مع النظر في مختلف التوجهات الفكرية التي قامت عليها بنية النص الروائي، ضف إلى ذلك القيام بإحصاء وتحديد النتائج المترتبة عن هذه الصراعات مهما كانت، لأنّ تحديد هذه النتائج يقضي بالضرورة تحديد موقف الكاتب منها، فهو يبرز موقفه النهائي من مواقف عناصره الروائية وخاصة الأبطال التي تعد نماذج

[1]- ينظر: حميد الحمداني، النص الروائي والإيديولوجيا، ص35.

أفقية للنموذج العمودي الذي هو النص، وهذا لا يوحي بشيء وإنّما يوحي فقط إلى ضرورة الوقوف على إيديولوجية الكاتب التي هي مضمرة في النص، فمهما سعى الروائي إلى تمويه صوته، فإنّه يميل في نهاية المطاف إلى التستر وإخفاء رؤيته الإيديولوجية، وهذا ما جعله يلجأ إلى انتقاء الوسائل الفنية لعمله لكي لا يبدو خطابه الإيديولوجي مكشوفا[1].

إنّ مقاربة القيم الإيديولوجية داخل الرواية تثير عدّة إشكاليات منها السؤال عما إذا كانت هذه المقاربة متصلة برصد الواقع والبحث عن ذاته في النّص الروائي، إذ يصبح بذلك النص عبارة عن آلة ثابتة لا تحرك ساكنا ولا تتغير في وجه الواقع وكأنه يتم رصد الوسط اليومي بحذافيره، لأنّه قبل انجاز العمل الأدبي والعمل الروائي على نحو خاص لا يمكن الحديث عن الإيديولوجيا، وذلك لا يعني أنّ الكاتب «يفتقر إلى النضج السياسي وإلى الوعي الإيديولوجي وإلى الرؤية الجدلية وإلى الشمولية لأنّه لا يستطيع تفكيك الواقع وإعادة بنائه»[2]، فالعمل الروائي مهما كان نوعه أو شكله لا ينتج إيديولوجيا بذاته، وإنّما يساهم في صيرورتها إما نحو الذيوع والانتشار وإما نحو التهميش والانطفاء.

إذن، باختصار الرواية كإيديولوجيا عبارة عن موقف وتصور الكاتب، والذي لا يتحدد إلاّ بعد الانتهاء من القراءة الشاملة والدقيقة للرواية ككل.

لعل ما ينبغي الإشارة إليه كنتيجة منطقية لما أسلفنا الحديث فيه هو أنّ النص الروائي يتضمن مجموعة من الإيديولوجيات المتعارضة، لكن من غير المعقول اعتبارها على أنّها إيديولوجية الروائي لكونها تعبر عن رأيه وإحدى مذاهبه، لأنّه ربما الغرض من عرض هذه الإيديولوجيات مجهول لا يعرفه أحد إلا الكاتب الذي كتب ذلك النّص وليس الهدف منها ما نفكر نحن فيه أو ما فكر فيه قارئ آخر، وعليه وجب التمييز بين الإيديولوجيا في الرواية والرواية كإيديولوجيا بحيث أنّ: الإيديولوجيا في

---

[1]- ينظر: نبيل بوالليو، الإيديولوجي في الرواية/ رواية الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي-نموذجا-،مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، العدد8، جامعة 20 أوت 1955، سكيكدة، ص90.

[2]- الطبيب بودريالة، السعيد جاب الله، الواقعية في الأدب، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد7، 2005م، ص05.

الرواية هي شديدة الاتصال بصراع الأبطال داخل المتن الروائي، لكن تبقى الرواية كإيديولوجيا تعبيرًا عن تصورات الكاتب عبر الإيديولوجيات المتصارعة.

إنّ ما يمكن قوله كخلاصة عامة لهذا هو أنّه إذا كانت الإيديولوجيا هي اليقين والإيمان بفكرة ما، فإنّ الأدب والإبداع هو اللايقين، فحين يصل الأدب أو الرواية إلى بلوغ درجة من الحقيقة والإجابة الجاهزة ويتخلى عن فريضة الشك والسؤال، فهنا يفقد فنيته وسحره.

-قائمة المصادر والمراجع:

-الكتب:

1. إدوارد سعيد، العالم والنص والناقد، تر: عبد الكريم محفوظ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000م.
2. أمين الزاوي، صورة المثقف في الرواية المغاربية –الفهوم والممارسة-، دار راجعي للنشر والطباعة، الجزائر، 2009م،
3. تركي الحمد، دراسات إيديولوجية في الحالة العربية، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1،بيروت، لبنان، 1992م،
4. تزفيتان تودوروف، نقد النقد، تر: سامي سويدان، دار الشؤون الثقافية العامة، ط2،العراق، بغداد، 1996م.
5. حميد لحمداني، النقد الروائي والإيديولوجيا، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1990م.
6. سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي، المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء،المغرب، 2001م.
7. شكري عزيز الماضي، في نظرية الأدب،دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، ط1،بيروت، لبنان، 1993م،
8. عبد العزيز بن علي السديس، التحيز الإيديولوجي في الفكر والتحليل الاقتصادي الغربي، مكتبة الملك فهد الوطنية، جامعة الملك سعود، الرياض، 1420هـ.

9. علال سنقوقة، المتخيل والسلطة، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2000.
10. عمار بلحسن، الأدب والإيديولوجيا، مطبعة النجاح الجديدة، ط2،الدار البيضاء، 1991م.
11. مارتن هايدغر، مدخل إلى الميتافيزيقا، تر: عماد نبيل، دار الفارابي، ط1، بيروت، لبنان، 2015م.
12. محمد سبيلا، عبد السلام بنعبد العالي، الإيديولوجيا (دفاتر فلسفية نصوص مختارة)، دار توبقال للنشر، ط2،الدار البيضاء، المغرب، 2006م.
13. محمود أمين العالم وآخرون، الرواية العربية بين الواقع والإيديولوجيا، دار الحوار، ط1، سوريا، 1986م.

المجلات:

1-الطبيب بودريالة، السعيد جاب الله، الواقعية في الأدب، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد7، 2005م.
2-نبيل بوالليو، الإيديولوجي في الرواية/ رواية الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي-نموذجا-،مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، العدد8، جامعة 20 أوت 1955، سكيكدة.